مجلة
بينات
فصلية
تصدر عن
رابطة علماء المسلمين
رابطة علماء المسلمين
العدد (٣) ::: ربيع الثاني ١٤٤١هـ ::: ديسمبر ٢٠١٩م

نظام الأسباب في القرآن الكريم

- الشيخ رشيد رضا والعمل السياسي
- الإعلام في زمن الحروب والفتن

بسم الله الرحمن الرحيم

بينات

رؤيـــة المجلـــة:

تشـكيل وعي المسـلم في القضايا المعاصرة.

رسالـــة المجلـــة:

مجلـة تحقـق تأصيـل العلـوم الشرعيـة في المجـالات كافـة، وإعطـاء الرؤيـة الشرعيـة حول أوضـاع المسـلمين.

عـــن المجلـــة:

- هـي مجلـة دورية ربعيـة تصدر عـن (رابطـة علـماء المسـلمين)، وتهتـم بالقضايـا الشرعيـة والفكريـة والعلـوم الإنسـانية، ورصـد وتحليـل واسـتشراف مسـتقبل المسـلمين حـول العالم.

- مجلـة عالميـة تنتهـج منهج أهل السـنة والجماعة بعيداً عـن الغلو والتفريط.

- تخاطـب الدعـاة والعلـماء والمثقفـين والمفكريـن المهتمـين بنهضـة الأمـة وريادتهـا، وتحـث الهمـم وتحـرك القلـوب وتبعـث الطاقـات لمصلحـة الأمـة، وتحـرص عـلى بنـاء الأمـة عـلى العقيدة السـليمة والمنهج القويم ليفقـه واقعـه ويبنـي مواقفه على تأصيـل شرعـي قويـم.

bayyinatre@gmail.com

هيئـة التحرير

المشرف العـــام
الشيخ الدكتور محمد العبده

المستشـارون
د. حسن عباس
أ. د. حكمت الحريري
د. عادل الحمد
د. مراد القدسي
أ. د. محمد أمحزون
د. هشام برغش

سكرتير التحريـــر
م. محمد حسين

تصدر عن
رابطة علماء المسلمين

بيّنات

في هـــذا العـــدد

موضوعات العدد

الافتتاحية

■ العلم الذي لا ينـــفع
المشـــرف العـــام ٤

مكانة العلماء

■ الشيخ رشيد رضا والعمل السياسي
د. محمد العبدة ٦

■ رسالة إلى الفقهاء
عادل حسن الحمد ١٤

■ ترجمة فضيلة الشيخ أ. د. الأمين الحاج محمد أحمد ١٧

قضايا فكرية

■ كاتب وكتاب
د. حكمت أحمد الحريري ١٩

ملفات شرعية

■ الإعلام في زمن الحروب والفتن
عبـــد الله بن فيصـــل الأهدل ٢٦

■ بهذا نعلو
صفاء الضوي ٣٣

نظام الأسباب في القرآن الكريم
أ. د. محمـــد أمحزون ٣٥

■ ورود كلمة بيِّنات في آيات القرآن البيِّنات (٢)
د. كامـــــل صبحي صلاح ٣٩

رابطة علماء المسلمين

الرؤية:

تكوين مرجعية عالمية راشدة لإحياء دور العلماء في نهضة الأمة المسلمة.

الرسالة:

تجمع علمي منظم من علماء المسلمين يساهم في توحيد صفوف المسلمين وجمع كلمتهم؛ من خلال جمع طاقات العلماء، وتقديم حلول شرعية للقضايا المعاصرة وفق منهج أهل السنة والجماعة.

الأهداف:

(١) المساهمة في توحيد كلمة علماء الأمة وإبراز مكانتهم بين المسلمين.

(٢) استنباط الأحكام الشرعية للحوادث والنوازل وللقضايا المعاصرة، ورد الشبهات حول الإسلام ونبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفق منهج علمي وبيان ذلك للمسلمين.

(٣) كشف المخططات المعادية للإسلام والتصدي لها بشتى الوسائل المشروعة.

(٤) تحذير الأمة وحمايتها من المناهج والعقائد المنحرفة والتيارات الهدامة وبيان موقف الإسلام منها.

(٥) التواصل مع الهيئات الرسمية والمؤسسات العلمية والدعوية والإعلامية والخيرية فيما يحقق نهضة الأمة.

alimerdernegi@gmail.com

العلم الذي لا ينفع

من جوامع كلم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن أنوار نبوته، ما جاء في دعائه أنه كان يتعوذ بالله من علم لا ينفع، وهذا من شفقته وحرصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته: ألا تضيع وقتها بعلم يضرها ولا ينفعها، وحتى لا يستخدم الإنسان علماً يدمر نفسه وغيره.

وقد مثَّل القدماء للعلم الذي لا ينفع بالسحر والكهانة وما هو شبيه بهما، وربما أضافوا أيضا علم الجدل الكلامي الذي ابتلي به المسلمون لعدة قرون؛ فأضعفوا قوتهم العلمية وشغلوا أوقاتهم بما لا يقيم ديناً ولا دنيا.

إن علماء الذرة في عصرنا هذا وضعوا هذا السلاح بأيدي الساسة مجرمي الحرب لإبادة مدن بكاملها، وبعض علماء الاجتماع والنفس في الغرب باعوا أنفسهم لدوائر الحكومات الاستعمارية التي سخرت هذه العلوم لاستعباد الإنسان وتشويهه وإخضاعه لمصالحها، هذه الحكومات تلقي مئات الملايين من الدولارات في الهواء، دولة تطلق صاروخاً إلى الفضاء يكلف نصف مليار دولار ثم ينفجر قبل أن يصل إلى هدفه، وتأتي دولة أخرى وتطلب صاروخاً أكثر دقة، وهكذا بدأت التكنولوجيا تمتص ثروات الكون.

وقد ذكر علماء الرياضيات أن العالم بدأ يستنزف خيرات الأرض بسبب جشعه وعدم اهتمامه بأخيه الإنسان، وتحولت الأرض إلى نفايات، وأن العالم وضع نفسه

في مشاكل لا حلول لها، فالتلوث وصل إلى أصفى الأجواء، ووصل إلى قاع الوديان وقمم الجبال، وأصبح الهواء النقي يُبحث عنه، أصبح الماء النقي العذب يُبحث عنه، وقد منعت بعض الدول الغربية ما يقوم به بعض العلماء (الاستنساخ)، وهناك احتجاجات على قضية التلاعب بالجينات باسم الهندسة الوراثية.

سألت أحد الخبراء في التقنية الحديثة والأجهزة الذكية و(النت): ما هي الأخطار المتفق عليها أنها أخطار على الناس وعلى الأطفال خاصة عندما يستخدمون هذا الهاتف النقال الذكي؟

فقال:

أولاً: الإدمان على هذه الأجهزة بحيث تأخذ كل وقتك.

ثانياً: بعض فيديوهات الأطفال تعلم الأطفال العنف، بل إن بعضها يؤدي إلى الانتحار وقد وقع هذا فعلاً.

ثالثاً: هذا الاستعمال المتواصل يقطع العلاقات الاجتماعية، فالشاب أو الشابة أو الطفل لا يهمه الاجتماع مع الأسرة أو الأقارب، لأنه مشغول بألعابه وبرامجه.

رابعاً: وهو شيء خطير وهو أن يصبح الشاب غير مبالٍ كثيراً بما يحيط به، لا يهمه العلم كثيراً أو الدراسة الجامعية؛ لأنه يظن أن كل شيء يستطيع الحصول عليه من خلال (النت).

في القرآن الكريم إشارات إلى أن المهم هو ما ينفع الناس في دنياهم آخرتهم، وأن بعض العلم قد لا يكون صالحاً للعباد، قال تعالى على لسان عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾[1]. أي ربما كان في مصلحتكم أن أبين لكم هذا البعض وليس الكل!

المشرف العام

(١) سورة الزخرف: ٦٣.

الشيخ رشيد رضا والعمل السياسي

د. محمد العبدة

علمٌ من أعلام النهضة في العصر الحديث، يتسم علمه وفكره بالشمولية والعمق، فقد كتب وحرر فصولاً في أصول الدين والفقه والإصلاح السياسي، وركز كثيراً في تفسيره على سنن الله سبحانه في المجتمعات والأفراد، واهتم بالتعليم والتربية وشؤون المرأة، ودعا إلى منهج أهل السُّنَّة ونبذ التقليد والبدع والخرافات، مع اطلاع على ما يكتب في الغرب وما يدبر، حارب على جبهتين: أهل التغريب والمتفرنجين، وأهل الجمود والتقليد.

ليس هذا المقال بالذي يتحدث عن كل هذه الجوانب في حياة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بل سأقتصر الحديث عن جهوده ورؤيته السياسية ومواقفه حيال أحداث عصره.

أسس الشيخ مجلته المشهورة (المنار) عام ١٨٩٨م، وقد جعل منها منبراً للإصلاح من جميع نواحيه، فكان متابعاً للأحداث السياسية، يبدي رأيه مؤيداً أو ناقداً أو ناصحاً هكذا كان موقفه من السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩م) عندما كان السلطان يتعرض لضغوط داخلية ومؤامرات خارجية؛ فيكتب الشيخ في المنار حاثاً المسلمين على دعم مشروع (الجامعة الإسلامية) الذي أعلنه عبد الحميد، والمقصود وحدة المسلمين أمام المشاريع الغربية الساعية لتفتيت الدولة العثمانية ،كما أيده في مشروعه العمراني وهو الخط الحديدي الحجازي الذي يربط ما بين إستانبول والمدينة النبوية.

ورغم أن عبد الحميد عطّل الدستور وحلَّ البرلمان (مجلس المبعوثان)؛ لأنه تحول بنظره إلى فوضى سياسية وفكرية، ورغم ما يشاع عن استبداد عبد الحميد إلا أنّ الشيخ كان يعلم خطورة زعزعة الدولة العثمانية، وأن البديل عن ذلك كان واضحاً ومتوقعاً، وهو تقسيم الدولة وتقاسم الحصص بين أطماع الدول الاستعمارية

وخاصة بريطانيا وفرنسا وكتب يصف مجلته المنار: (إنها عثمانية المشرب، حميدية اللهجة، تحامي عن الدولة العلية بحق).

ولكن الفئة التي كان يخشاها السلطان عبد الحميد والتي تأثرت بموجة القوميات التي ظهرت في الغرب والتي كانت تريد التحديث على الطريقة الغربية، هذه الفئة التي تجمعت تحت اسم الاتحاد والترقي استطاعت أخيراً الانقلاب على السلطان وخلعه، وأعلنت التزامها بالدستور وعودة (مجلس المبعوثان)، وظن الشيخ أنهم صادقون في دعواهم فأيدهم في البداية، ولكن سرعان ما اكتشف أمرهم وأنهم أتراك متعصبون للقومية الطورانية، وليس عندهم أي اهتمام بالرابطة الدينية التي تجمع مكونات الدولة العثمانية، هذا عدا عن تفريطهم بأقاليم الدولة العثمانية مثل إقليم ليبيا أمام الغزو الإيطالي، فقد سحب هؤلاء الاتحاديون الوالي التركي من طرابلس نتيجة إنذار إيطاليا، واتهمهم الشيخ بموالاتهم للقوى الأجنبية؛ حين فرطوا أيضاً بشط العرب أمام الإنكليز، وتركوا إقليم البوسنة والهرسك لدولة النمسا.

في هذه الفترة أي قبل الحرب العالمية الأولى وفي عام ١٩١٢ م شارك الشيخ في تأسيس حزب اللامركزية العثماني في القاهرة ومن أعضائه: رفيق العظم، ومحب الدين الخطيب، والشيخ عبد الحميد الزهراوي، وغيرهم من الشخصيات العربية، وهو

حزب يطالب بلامركزية إدارية للأقاليم العربية داخل الدولة العثمانية، فكان الحرص دائماً على الرابطة العثمانية، مع أن قناعة الشيخ رشيد أنَّ جماعة الاتحاد والترقي التي انقلبت على السلطان عبد الحميد هم قوم ملاحدة، وصلوا إلى الحكم عن طريق يهود (سالونيك).

وكأن الشيخ يأس من المطالبة باللامركزية والبقاء مع الرابطة العثمانية فبدأ الميل إلى دولة عربية مستقلة تحقق بعض الطموحات، مثل الاستقلال التام عن التأثير الأجنبي والالتزام بالصبغة الإسلامية للدولة.

وعندما أعلن الشريف حسين بن علي في مكة المكرمة ثورته على الاتحاديين الأتراك ظن الشيخ أن هذه هي طلبته، فرحب

بالشريف ملكاً على الحجاز وسافر إلى مكة لملاقاة الشريف حسين عام ١٩١٥م، وألقى في مِنى خطبة دعا فيها الحجازيين لتأييد الشريف في سعيه لاستقلال الحجاز، لأن هذه المنطقة هي المؤهلة لتأسيس دولة عربية إسلامية، ولم يعلم الشيخ باتصالات الشريف مع المندوب السامي البريطاني في مصر (مكماهون) وخلاصتها وعود من الإنكليز بمساعدة الشريف والعرب على إقامة دولة عربية في شرقي البحر المتوسط من جنوب جبال طوروس إلى خليج عدن، والشيخ رشيد رضا لا يصدق أبداً وعود بريطانيا بمساعدة العرب، وهذا مما جعل الشيخ ينقلب على تأييده السابق للشريف ويبتعد عن سياسته.

الحرب الكونية الأولى وآثارها:

دخلت الدولة العثمانية بحكومة الاتحاد والترقي في هذه الحرب وفي محور ألمانيا المقابل للحلفاء بريطانيا وفرنسا ومن معهم، وكانت النتيجة هزيمة ألمانيا وكذلك هزيمة الدولة العثمانية، وكانت أوروبا الاستعمارية قبل هذه الحرب تخطط لتقسيم الدولة العثمانية واقتسام مناطقها، وكان اسم هذه الدولة في المفهوم السياسي[1] الأوروبي (الرجل المريض)، وتسمى العلاقات معها بـ (المسألة الشرقية) وهكذا وجدت اتفاقية (سايكس - بيكو) بين بريطانيا وفرنسا التي قسمت منطقة بلاد الشام بين هاتين الدولتين الباغيتين، فكانت سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، وفلسطين وشرقي الأردن تحت الانتداب البريطاني، ومصطلح (انتداب) يعني أن شعوب هذه المنطقة لا تستطيع إدارة نفسها، ولا بد من وصي عليها مؤقتاً؟!

كان الحرص دائماً على الرابطة العثمانية، مع أن قناعة الشيخ رشيد أنّ جماعة الاتحاد والترقي التي انقلبت على السلطان عبد الحميد هم قوم ملاحدة، وصلوا إلى الحكم عن طريق يهود (سالونيك)..

وبحلول عام ١٩١٨م وانتصار الحلفاء، كان القائد البريطاني (اللنبي) قد احتل جنوب فلسطين وواصل سيره إلى دمشق، وفي الوقت نفسه كان الأمير فيصل بن الحسين ومعه الضابط البريطاني (لورنس) قد وصلا دمشق. وهنا تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ سورية الحديث، وفي هذه المرحلة كان للشيخ رشيد رضا دَوْرٌ بارز.

المسألة السورية:

في هذه الظروف: وجود الأمير فيصل وانكشاف أمر اتفاقية (سايكس - بيكو) مما حدا بالنخبة السورية للخوض في مسألة الاستقلال، وبدأ الأمير فيصل بمطالبة الحلفاء بتنفيذ وعودهم حول

(١) هي في حقيقتها مسألة غربية، فالغرب هو المخطط والمنفذ لها.

الدولة العربية، وأيده في ذلك حزب (الاتحاد السوري) الذي كان قد تشكل في مصر من المهاجرين السوريين، وكان الشيخ رشيد من أعضاء هذا الحزب، وقد هاجم في (مناره) السوريين الذين رضوا بمقررات الحلفاء والخضوع لفرنسا. ثم ظهر: المؤتمر السوري الذي ضم نواباً وشخصيات تمثل كافة البلاد وترأس هذا المؤتمر الشيخ رشيد، وعقد المؤتمر أولى جلساته في ١٩١٩/٦/٣م، وكان من مقرراته ومطالبه: الاستقلال السياسي التام الناجز لكل بلاد الشام، ولا يعترف المؤتمر بأي حق تدعيه فرنسا على أي بقعة في أرض الشام.

ولا يحق لأي حكومة كانت أن تقبل باسم الأمة السورية أي شرط من الشروط التي تخالف قرارات المؤتمر، وإذا وقعت على صك يخالف قرار المؤتمر فالمؤتمر يعتبرها غير شرعية، ويعتبر المؤتمر أن البلاد مستقلة استقلالاً تاماً، وهذه المقررات كانت موجهة أيضاً إلى لجنة الاستفتاء الأمريكية المكلفة من عصبة الأمم لبحث القضية السورية، وقد تمسك هذا المؤتمر بالحق في مراقبة السلطة التنفيذية التي شكلها الأمير فيصل بن الحسين باعتبار ذلك من الشورى اللازمة، ولكن فيصلاً لم يقبل بهذا الحق للمؤتمر ولا يأذن للحكومة أن تكون تحت سيطرة المؤتمر، وعند ذكر الأمير فيصل أنه هو الذي أوجد المؤتمر رد عليه الشيخ رشيد: "أنت مخطئ في هذا، المؤتمر هو الذي مَكّنَ لك في الحكم وكنت قبله مجرد قائد في جيش (اللبني)، والمؤتمر مؤيد من زعماء البلاد وعلماء الدين والوجهاء، وهو الممثل للشعب السوري".

كانت وجهة نظر الشيخ رشيد في شكل الحكومة التي سعى المؤتمر إلى إقامتها في دمشق أن تكون ذات صبغة إسلامية محضة حتى تكسب عطف المسلمين. نُصّب الأمير فيصل ملكاً على سورية، وقبل الشيخ التعاون معه رغم عدم ثقته بوالده الشريف حسين، ربما لقُوَّة المؤتمر السوري وللمصلحة العامة في سورية، ولكن الأمور بدأت تأخذ منحاً آخر وتعقدت المسألة السورية، وقبل فيصل بما فرض عليه الحلفاء في مؤتمر (سان ـ ريمو) بل قبل بالشروط التي أرسلها الجنرال (غورو).

ولكنّ هذا لم يشفع له عند فرنسا، ودخل الجيش الفرنسي إلى دمشق بعد مقاومةٍ جاءت على عجل يقودها وزير الدفاع يوسف العظمة.

واضطر فيصل للخروج من سورية، ونصبته بريطانيا بعدئذ ملكاً على العراق.

لم يقبل المؤتمر السوري بهذا الاحتلال، وكانت آخر جلساته في ١٩/٧/١٩٢٠م، ولذلك صدر حكم الإعدام على معظم أعضاء المؤتمر فاضطروا إلى الاختفاء أو الخروج من سورية، ثم - ومن خلال حزب الاتحاد السوري - نظموا أنفسهم في لجنة تنفيذية سورية فلسطينية، والتي دعت إلى مؤتمر عام في مدينة جنيف عام ١٩٢١م، وانعقد هذا المؤتمر الذي جمع عدداً غير قليل من السوريين والفلسطينيين واللبنانيين، ووضع تقريراً مفصلاً عن أحداث سورية وقدمه إلى عصبة الأمم مع المطالبة بالاستقلال الكامل لكل بلاد الشام. وقد كوّن هذا المؤتمر وفداً دائماً يبقى في أوروبا ليكون على صلة بالأحداث التي تتعلق بالبلاد السورية. وقد رأس هذا المؤتمر ميشيل لطف الله وكان نائب الرئيس رشيد رضا. ومن الأعضاء البارزين الأمير شكيب أرسلان الذي استقر في مدينة (لوزان) في سويسرا وأصدر هناك جريدة (الأمة العربية) باللغة الفرنسية، وكان مدافعاً قوياً عن القضية السورية وغيرها من قضايا العرب والمسلمين، وهو على اتصال بالشيخ رشيد، الذي كان صلباً ومخلصاً في المطالبة باستقلال البلاد التي انفصلت عن الدولة العثمانية، ولم يتنازل عن هذا المطلب في أي فترة من فترات حياته.

الخلافة:

كان من آثار هزيمة الدولة العثمانية أن قرر الحلفاء المنتصرون وبموجب معاهدة (سيفر) ١٩٢٠م الاعتراف باستقلال اليونان والبلغار وخروج أهلها عن السيادة العثمانية، ولم يكتفوا بذلك بل حرضوا اليونان على مقاومة الجيش العثماني واحتلال أراضٍ من تركيا، وقد

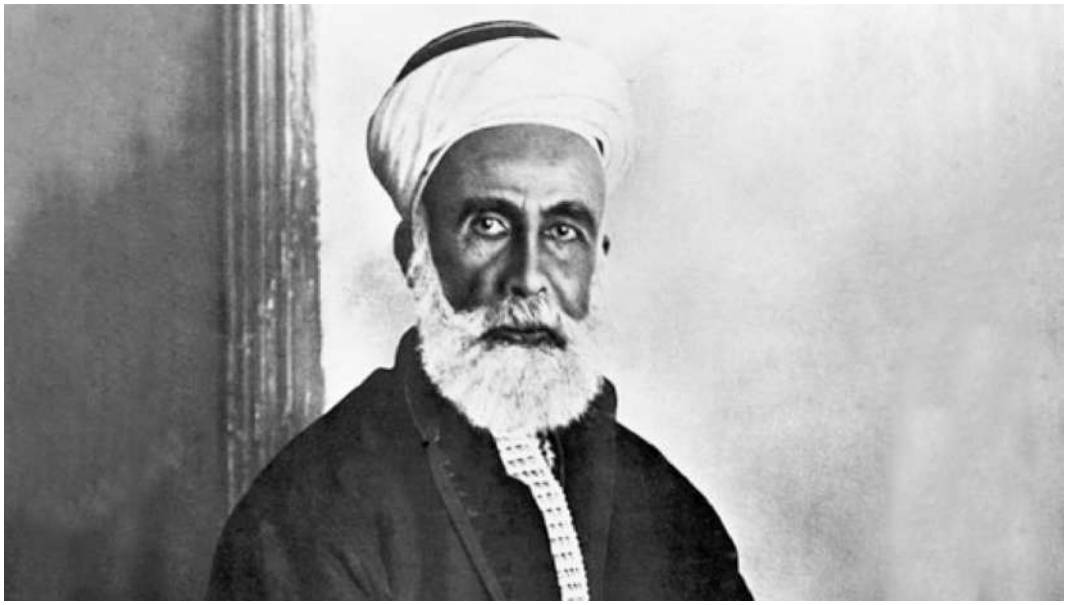

فعلوها ووصلوا في احتلالهم إلى مدينة أزمير. وهنا تصدى لهم الجيش العثماني بقيادة الضابط مصطفى كمال، وانتصر على اليونان انتصاراً ساحقاً، مما أثار الحمية والبهجة في نفوس المسلمين، وهذا مما جعل مصطفى كمال هو سيد الموقف في تركيا، وأصبح ينظر إليه وكأنه البطل الذي انتظره المسلمون.

وبعد معاهدة (لوزان) التي عقدها مصطفى كمال مع الحلفاء وكانت أقل ضرراً من معاهدة (سيفر) أصبح موقع السلطانَيْن وحيد الدين (١٩١٨ - ١٩٢٢م) وعبد المجيد الثاني (١٩٢٢ - ١٩٢٤م) أصبح صورياً ولا نفوذ لهما.

هلل الشيخ رشيد في البداية لهذا الانتصار، كما هلل له الشعراء مثل أحمد شوقي:

الله أكبر كم في الفتح من عجبٍ

يا خالد الترك جدد خالد العرب

ولكن هذه الإشادة من الشيخ لم تطل، فسرعان ما أعلن مصطفى كمال عن ميلاد الجمهورية التركية (١٩٢٣م) وحصر أمور الخلافة في الأمور (الروحية)[١] الخالصة، وألغى المحاكم الشرعية والتعليم الديني، وفصل بين الدين والدولة بشكل نهائي، ثم أعقب ذلك بإنهاء السلطنة العثمانية عام (١٩٢٤م).

أعلن الشيخ معارضته الشديدة لتصرفات كمال أتاتورك، وندد بها، وبدأ يكتب فصولاً في (المنار) حول الخلافة وأحكامها وكيفية التجديد في بعض مسائلها، سعياً لإحياء هذا المنصب، مفنداً مزاعم الأجانب حول إمكانية الفصل بين الدين والدولة..

(١) مثل بابا روما.

اضطرب الشيخ لهذه القرارات، وأعلن معارضته الشديدة لهذه التصرفات، وندد بها واعتبرها من دسائس الأوروبيين التي تحاك ضد الإسلام، وقد استفزه هذا التحول فبدأ الشيخ يكتب فصولاً في (المنار) حول الخلافة وأحكامها وكيفية التجديد في بعض مسائلها، سعياً لإحياء هذا المنصب، مفنداً مزاعم الأجانب حول إمكانية الفصل بين الدين والدولة، وأعاد كلام الماوردي وابن خلدون حول منصب الخلافة (حراسة الدين وسياسة الدنيا به)، وجمعت المقالات التي كتبها في كتاب (الإمامة أو الخلافة العظمى)، ولم يكتف الشيخ بالكتابة بل دعا إلى مؤتمر عام يبحث فيه أمر الخلافة، وأن يكون مقر هذا المؤتمر في مصر، وقد تم عقد هذا المؤتمر في عام (١٩٢٦م)، ولكنه لم يصل إلى نتائج ملموسة بسبب التفرق الذي ساد المحاورات وبسبب ذكر أسماء من يصلحون لتولي هذا المنصب (الخليفة)، وكان موقف الشيخ حيادياً لم يدل برأي خاص، وأرسل إلى صديقه الأمير شكيب أرسلان يشكو فيها من (سوء المصير الذي تردت فيه مسألة الخلافة).

في عام ١٩٣١م دعا مفتي القدس ورئيس المجلس الإسلامي في القدس (الحاج أمين

الحسيني) إلى مؤتمر إسلامي عام من غاياته:

(١) نشر أساليب التعاون الإسلامي وتعميم ذلك.

(٢) وقاية الدين الإسلامي من عوارض الفساد وإعزاز مبادئه وصيانة عقائده وحماية أرضه من كل طامع.

(٣) إنشاء جامعة إسلامية لتوحيد ثقافة المسلمين العالمية.

(٤) المحافظة على المسجد الأقصى والتنبيه إلى خطر الصهيونية على فلسطين.

(٥) الاهتمام بخط السكة الحديدية الحجازية بين دمشق والمدينة النبوية، والتدابير اللازمة لاسترداد أقسام هذا ا لخط .

دعا الشيخ إلى مؤتمر عام يبحث فيه أمر الخلافة، وأن يكون مقر هذا المؤتمر في مصر، وقد تم عقد هذا المؤتمر في عام (١٩٢٦م)، ولكنه لم يصل إلى نتائج ملموسة بسبب التفرق الذي ساد المحاورات.

وكان على رأس المدعوين لهذا المؤتمر الشيخ رشيد رضا، وعقد المؤتمر بتاريخ ٢٧ رجب ١٣٥٠هـ الموافق ١٩٣١/١٢/٧م، ولم يتكرر اجتماع هذا المؤتمر ولم تنفذ القرارات الرئيسية مثل الجامعة الإسلامية، وتأسيس مكاتب للدعوة في كل دولة. وفي هذه الفترة كان الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود قد وحد غالب الجزيرة العربية تحت رايته ومنها مكة والمدينة؛ فتحول الشيخ رشيد لمناصرة هذه الدولة خاصة وأنها امتداد لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولم يعد يذكر الشيخ موضوع الخلافة والسعي إليها، وكانت هذه آخر مراحل حياته السياسية. ويبقى أن العمل الأبرز في حياته السياسية كان في موطنه بلاد الشام.

من خلال هذا الاستعراض للمراحل السياسية التي مر بها الشيخ والمحطات التي وقف عندها، فهو مع السلطان عبد الحميد، ثم يناصر الاتحاديين ثم ينقلب عليهم، ويناصر الشريف حسين بن علي ثم يبتعد عنه وينقلب عليه.

فهل كان الشيخ يعاني اضطراباً في مواقفه السياسية؟ وهل كان الأجدر بمثله أن يتريث قليلاً ليعلم أهداف الاتحاديين وغاياتهم؟ وبعد ذلك لماذا لم يتأكد من استقلالية الشريف حسين وما هي الأهداف التي يرجوها من الصلة مع الإنكليز؟ ولماذا لم يبحث ويسأل عن شخصية مصطفى كمال ومن هو وما هي وجهته السياسية وإذا كان مصطفى كمال من جمعية (تركيا الفتاة) فهي تابعة للاتحاديين؟ أم كان يبحث صادقاً عن صيغة معينة أو هيكل سياسي يظنه طريقاً للمأمول؟ صيغة تجمع ما بين الخلافة الموحدة لجميع العناصر والإدارة الناجعة أمام الزحف الغربي ثم يكتشف أن الواقع غير ما يؤمّل؟ فهو معذور في ذلك، والذي لا شك فيه أن الشيخ في كل كتاباته ومحاولاته إنما يريد عزة الإسلام والمسلمين، وكما كان يصف نفسه بأنه من حزب الإصلاح، هذا الحزب الذي تأسس فكرياً ولم يتأسس سياسياً.

رسالة إلى الفقهاء

د. عادل حسن الحمد

الفقه في الدين من أشرف العلوم الشرعية، لإحاطته بجميع شؤون حياة الناس: الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والتعليمية، وغيرها. يتعامل مع كل مراحل الإنسان من قبل ولادته إلى ما بعد مماته. وهذا يعني أن الفقه يلامس حياة الناس الواقعية، ويعالج مشاكلهم التي يعانون منها، ويرسم لهم خارطة الطريق التي تعينهم على تحصيل منافع الدنيا والآخرة. ولا عجب في ذلك وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ))[1].

ومن عظمة الفقه في الدين أن أصحاب الفنون الأخرى إنما ينهلون ويصدرون عن الفقهاء وأحكامهم؛ في جميع المجالات الاجتماعية، أو السياسية، أو الاقتصادية، أو العلمية أو غيرها. وهنا مكمن أهمية الفقه.

هذه الأهمية إما أن تأتي من ذات الفقيه أو من خارجه. أما ما كان من ذات الفقيه، فيكمن في تضييق معنى الفقه في الدين، بأن يجعله مقتصراً على فقه الفرد في الشعائر التعبدية، دون أحوال الفرد في المجتمع ومعترك الحياة.

أو يقتصر في الحديث عن الفقه على الصور التطبيقية القديمة، دون التعرض للصور الحديثة في شتى مجالات الحياة: الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو غيرها.

وأشدها خطراً أن يتصور الفقيه أن الفقه لا علاقة له بالإصلاح في حياة الناس الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وقضايا التربية والتعليم. مع أن هذه القضايا لها أبواب كبيرة في كتب الفقه، وقد يكون الفقيه ممن يُدرِّسها في المحاضن التعليمية.

(١) رواه البخاري.

هذا التضييق لمفهوم الفقه في الدين يبعد الفقيه عن الواقع وعن الناس، فيلجأ الناس إلى غير الفقهاء لحل مشاكلهم، ولتغيير واقعهم، ولرفع الظلم عنهم، وهذا يدفعهم لتبني المناهج المنحرفة المستوردة من الشرق أو الغرب.

أيها السادة الفقهاء الأكارم،

إن الله جل في علاه حملكم مسؤولية حماية هذا الدين من تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وجعلكم ورثة الأنبياء في تبليغ الشريعة المنزلة للناس؛ وهذه المهمة العظيمة تحتاج منكم إلى جهد كبير في معرفة أولويات الأمور التي تتحدثون عنها أو تتركونها، وهنا مكمن الفقه الحقيقي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لَيْسَ الْعَاقِلُ الَّذِي يَعْلَمُ الْخَيْرَ مِنْ الشَّرِّ، وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ الَّذِي يَعْلَمُ خَيْرَ الْخَيْرَيْنِ وَشَرَّ الشَّرَّيْنِ"(١).

لكن أعداء الإسلام والحاقدين عليه قد يريدون منكم غير ذلك، فقد حددوا للفقيه اليوم المجال الذي يتحدث فيه، والموضوعات التي يتناولها، وحرموا عليه الخوض في غيرها. حددوا له الحديث عن علاقة الفرد بربه وتذكيره بالجنة، وحرموا عليه الخوض في قضايا الناس ومشكلاتهم الحقيقية وما يتعرضون له من مظالم؛ لأن هذا تدخل في شؤون الدولة! وحرموا عليه إنكار المنكر، لأن المجتمع يقوم على الحرية الشخصية! ومنعوه من الكلام في السياسة؛ لأنه لا دين في السياسة ولا سياسة في الدينّ!! وجرَّموه إذا نصر مظلوماً، لأن الناس في علاقتهم بالآخرين إنما هي تبع لسياسة السلطان، فيحبون من أحب، ويبغضون من أبغض. وأنكروا عليه أن يبني فتاواه على أساس من الولاء والبراء الشرعي، لأن هذا خلط بين السياسي والاجتماعي والديني.

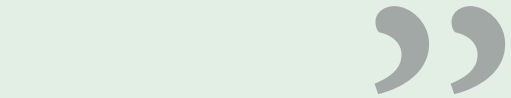

أعداء الإسلام والحاقدون عليه حددوا للفقيه اليوم المجال الذي يتحدث فيه، والموضوعات التي يتناولها، وحرموا عليه الخوض في غيرها. حددوا له الحديث عن علاقة الفرد بربه وتذكيره بالجنة، وحرموا عليه الخوض في قضايا الناس ومشكلاتهم الحقيقية وما يتعرضون له من مظالم؛ لأن هذا تدخل في شؤون الدولة!

فإما أن تستجيبوا لهم، فتخرجوا للناس صورة مشوهة لهذا الدين، وتكونوا من المقربين، وإما أن تخالفوهم وتبينوا الحق للناس، وتنالوا رضا رب العالمين.

أيها السادة الفقهاء الأكارم،

إننا اليوم نعيش في واقع أظهرت فيه كثير من الحكومات التي تحكم بلاد المسلمين

(١) مجموع الفتاوى: ٢٠/ ٥٤.

العداوة والبغضاء لهذا الدين ولحملته من العلماء والدعاة؛ فَسَجنتِ العلماء، ولاحقت الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وجَرَّمتهم، وضيقت على المناشط الإسلامية بجميع صورها. وفي المقابل فتحت أبواب الشر في المجتمعات على مصراعيها؛ فالإعلام مفتوح لكل من يريد أن يشكك الناس في دينهم، والترفيه لا يحلو لهم إلا باختلاط النساء المتبرجات بالرجال!

فما هو دوركم أيها الفقهاء؟ وهل استسلمتم لمراد عدوكم؟

إننا أيها السادة الفقهاء الأكارم لا نطالبكم بأكثر مما تستطيعون، لأن الله تعالى قال في محكم تنزيله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾[1]، ونعتقد أن بوسعكم قول الحق، والصدع به، ولا تنقصكم الحيلة في اختيار الألفاظ التي توصلون بها الحق للناس، ولا تجعلون للظلمة عليكم من سلطان.

نعتقد أن بوسعكم السكوت عن قول الباطل ونصرة الباطل وتأييده.

نعتقد أن بوسعكم أن تبتعدوا عن الظلمة الذين ظهر ظلمهم للقاصي والداني، فلا تؤازروهم ولا تثنوا عليهم، ويسعكم ما وسع من قبلكم من العلماء عبر التاريخ في تعاملهم مع الظلمة.

نعتقد أن بوسعكم أن تضحوا بمصالح الدنيا ومناصبها من أجل ما عند الله والدار الآخرة، فلا يمنعكم ما أنتم فيه من قول كلمة الحق.

وإننا لنرجو أن يكون منكم من يقول الحق ويثبت عليه كما ثبت الأئمة مالك، وأحمد، والأوزاعي، وغيرهم ممن تشرفوا بقول الحق والدعوة إليه والصبر على ما يأتيهم من ظلم الناس بسببه.

ويؤسفنا جدّاً، أن نرى من الفقهاء من هو في واد، والأمة الإسلامية وجراحاتها في واد آخر، وكأنَّ الأمر لا يعنيه من قريبٍ أو من بعيدٍ، وكأنَّ العلم الذي تعلمه لم يحرك قلبه لنصرة هذا الدين ونصرة المظلومين.

سدد الله خطاكم للحق أيها السادة الفقهاء..

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٦.

ترجمة فضيلة الشيخ أ. د.
الأمين الحاج محمد أحمد

مولده ونشأته:

في قرية ود البر الخوالدة، غرب مدينة مدني في ولاية الجزيرة ولد الشيخ الأمين الحاج محمد أحمد عام ١٩٤٧م، وتلقى بمدينة ود مدني مراحله التعليمية الأولى الابتدائية والمتوسطة، ثم التحق بكلية الآداب جامعة الخرطوم، وتخرج فيها عام ١٩٦٩م.

ثم منح درجة الأستاذية من جامعة أفريقيا العالمية عن ١٥٠ مؤلفاً.

تتلمذ الشيخ على عدد من المشايخ، أبرزهم: الشيخ جعفر ميرغني، والعلامة جعفر شيخ إدريس من السودان، وفي المملكة العربية السعودية التزم الشيخ دروس المسجد الحرام خاصة دروس العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى.

المناصب التي تولاها:

بعد تخرجه من الجامعة عمل لمدة سبع سنين مدرساً بالمدارس الثانوية، ثم انتُدِب للعمل بمعهد اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة أم القرى بمكة (١٣٩٨ – ١٤٢٢هـ) مدرساً للعلوم الشرعية، وهناك لازم دروس الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى.

بعد أن عاد للسودان في ٢٠٠١م عمل مدرساً بمعهد اللغة العربية لغير الناطقين بها، وأستاذاً للعلوم الشرعية بمعهد اللغة العربية بجامعة إفريقيا العالمية وحتى الآن.

ترأس الشيخ الرابطة الشرعية للعلماء والدعاة بالسودان، ويترأس الآن رابطة علماء المسلمين.

جهوده العلمية:

بمكة كانت له دروس في الفقه والعقيدة والسيرة والتفسير لعدد من السودانيين.

بعد أن عاد للسودان في ٢٠٠١م، له دورة منتظمة بمسجد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالمعمورة (ستة دروس: ثلاثة بعد الفجر أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء، وثلاثة بين المغرب والعشاء أيام الأحد والثلاثاء والأربعاء)، درّس فيها كثيراً من دواوين السنة وكتب العقيدة والفقه والسيرة وغيرها.

له دروس بمساجد جامعة إفريقيا والخرطوم والحضراب بشمبات والفرقان بالمهندسين بأمدرمان.

له دورات قصيرة متكررة في الحج والصوم والاعتكاف والفرائض وغيرها.

يشارك في إقامة العديد من الدورات التعليمية لتعليم اللغة والعلوم الشرعية للمسلمين غير العرب في كل من باكستان وماليزيا والفلبين والجمهوريات الإسلامية بروسيا.

مؤلفاته:

له ما يربو على مائتي مصنف، طبع منها أكثر من مائة وخمسين كتاباً ورسالة، أهمها كتاب العلم فضله وطرقه، والطريق إلى ولاية الله عَزَّوَجَلَّ، ودليل الأئمة والمؤذنين.

ألف الشيخ منهج العلوم الشرعية في الحديث والفقه والسيرة العقيدة بمعهد اللغة العربية بجامعة إفريقيا العالمية الذي يدرس فيه.

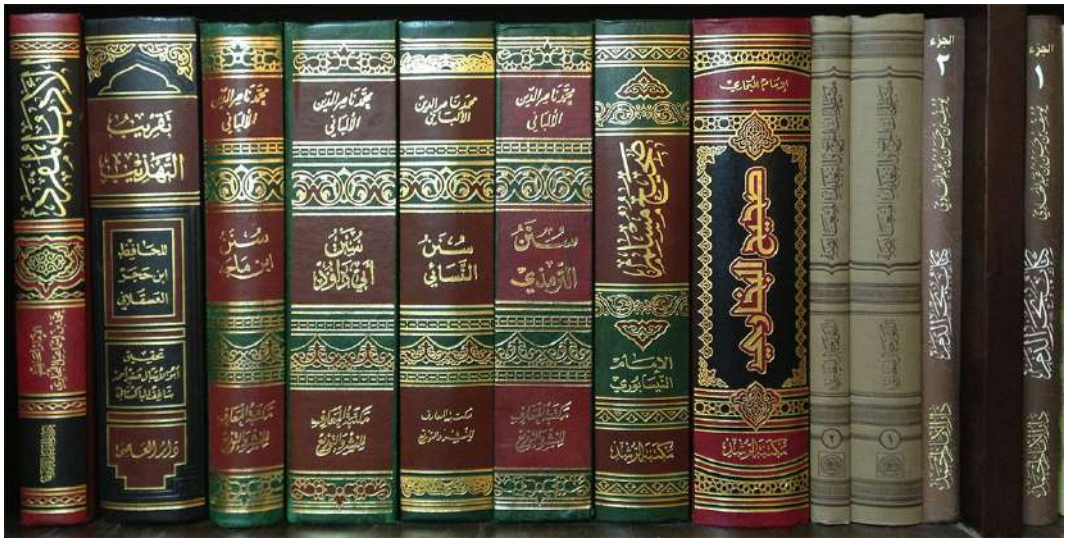

كاتب و كتاب

د. حكمت أحمد الحريري

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين محمد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

فيقول أحد الحكماء: ثلاثة أشياء تدل على عقل فاعلها: الكتاب يدل على عقل كاتبه، والرسول يدل على عقل مرسله، والهدية تدل على عقل مهديها.

أتذكر هذه العبارة الحكيمة كلما قرأت كتاباً فيه فوائد علمية ودراسة وتحليل يجلي صدأ النفوس ووساوسها.

ومن جملة الكتب التي اقتضى المقام أن أُعرِّف به وأقدم دراسة تجمع لذهن القارئ فصول الكتاب ومحتواه، بطريقة موجزة تكون سبباً لتحفيز القارئ على مطالعة الكتاب والتعرف على مؤلفه.

أما الكتاب فهو (منهاج الإسلام في الحكم).

مؤلفه: محمد أسد.

وإليك - أخي القارئ - نبذة تعريفية بالكاتب والكتاب.

أما الكاتب: فهو الأستاذ القدير والمفكر الإسلامي الشهير محمد أسد، وكان يدعى قبل إسلامه (ليوبولد فايس).

ولد سنة ١٩٠٠م في لمبرغ إحدى المدن النمساوية، وهو من أسرة يهودية شديدة التمسك بالديانة اليهودية فقد كان جده حاخاماً، وحرص أهله على أن يكون وريثاً لجده في العلم بالديانة اليهودية، ولذا فقد أتقن اللغة العبرية وهو في الثالثة عشرة من عمره، وتبحر في دراسة التوراة والتلمود، وكان شديد الذكاء متقد الذاكرة.

بدأ دراسته في جامعة فيينا، ولكنه ما لبث أن انقطع عن الدراسة والتحق بالجيش الألماني دون علم أهله، وكان جسيماً، ولما بحث عنه أهله أخرجوه من الجيش لأنه لم يبلغ السن القانونية التي تسمح له بالدخول في الجيش.

ثم أرسله أهله إلى فلسطين حيث كان أحد أقربائه هناك ليبعدوه عن الالتحاق بالجيش الألماني، ثم كانت زيارات لعدد من دول المشرق الإسلامي، فقد دخل مصر وسورية وتجول في أسواقها ورأى كثرة مساجدها، وفيها حبب الله إليه الإيمان وزينه في قلبه وبدأ يقرأ عن هذا الدين العظيم دين الإسلام، ثم زار الهند وأفغانستان، ثم عمل محرراً لأشهر الصحف الألمانية آنذاك صحيفة (فرانكفورت) يكتب تقارير ويرسلها إليهم في أثناء إقامته في بلاد المشرق الإسلامي.

وعندما تمكن الإيمان في قلبه قرر أن يزور بلاد الحرمين مهبط الوحي فقد أحب أن يتعرف على الإسلام من منبعه الأصلي وانطلاقته الأولى، وفيها تعرف على مؤسس الدولة السعودية الملك عبد العزيز آل سعود، وعمل مستشاراً له، وصنف هنالك كتابه الذي نال شهرة في مختلف البقاع (الطريق إلى مكة)، وقد تُرجم الكتاب لأهميته إلى عدة لغات الإنجليزية والألمانية والعربية والأردية والفرنسية والهولندية والسويدية وغيرها.

ثم زار الهند، والتقى بالعلامة محمد إقبال الشاعر الإسلامي وفيلسوف الهند، وقد أقنعه بالبقاء في الهند؛ كي يساعد في إذكاء نهضة المسلمين ومشروع إقامة دولة باكستان الإسلامية، وكانت له مساهمة عظيمة في تأسيس دولة باكستان وكتابة دستورها، وحصل على الجنسية الباكستانية، وتم تعيينه بمناصب مختلفة كان آخرها وزيرها المفوض في هيئة الأمم المتحدة.

وعند بداية استقلال باكستان وانفصالها عن الهند في أواخر الأربعينيات من القرن الماضي كان رئيساً لدائرة إحياء النظم الإسلامية، وكان من اهتمامه بدراسة النظام السياسي في الإسلام قد عمل على تصنيف كتاب (منهاج الإسلام في الحكم)، وهو كتابنا هذا الذي هو موضع هذه الدراسة.

وبعد استقالته من وظيفة مفوضية باكستان بالأمم المتحدة غادر نيويورك إلى سويسرا، وبقي فيها عشر سنوات وتفرغ للكتابة والتأليف، ثم رحل إلى مدينة طنجة المغربية وقضى فيها عشرين عاماً. وفي عام ١٩٩٢م في العشرين من شهر فبراير توفي رحمه الله تعالى في مدينة ميخاس الأندلسية، ودفن حسب وصيته بالمقبرة الإسلامية بغرناطة.

للأستاذ محمد أسد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدة مؤلفات عظيمة النفع والفوائد العلمية منها:

- كتاب: الإسلام على مفترق طرق، وهو أول كتاب صنفه عن الإسلام، نشر عام ١٩٣٤م.
- كتاب: الطريق إلى مكة، وفي بعض التسميات: الطريق إلى الإسلام، صدر عام ١٩٥٣م.
- ترجمة معاني القرآن الكريم، وهو أضخم مشروع له أمضى فيه سبعة عشر عاماً، وظهرت طبعته الأولى ١٩٨٠م.

■ ترجمة وتعليقات على صحيح الإمام البخاري.

■ منهاج الإسلام في الحكم.

ومطالعة ترجمة المرحوم محمد أسد تذكر بحياة الصحابي الجليل سلمان الفارسي، الذي هاجر من بلاد فارس ودرس اليهودية والنصرانية، ثم وصل للمدينة النبوية وتمسك بدين الحق دين الإسلام الذي أظهره الله على الدين كله.

وكذلك نتذكر الصحابي الجليل عبد الله بن سلام الذي كان من أحبار اليهود وأنعم الله عليه بالإسلام.

أما الكتاب فهو (منهاج الإسلام في الحكم) ظهرت الطبعة الأولى للكتاب عام ١٩٥٧م، ثم ظهرت الطبعة الخامسة ١٩٧٨م، طبعة دار العلم للملايين. عدد صفحات الكتاب ١٩٢ من القطع الوسط. وقد رتبه المؤلف على النحو الآتي:

■ مقدمة بين فيها دوافع التأليف ومنهجه في تصنيف هذا الكتاب وستة فصول، هي:

■ الفصل الأول: قضيتنا، وفيه المباحث الآتية:

- لماذا نريد الدولة الإسلامية؟
- لماذا لا نرضى بدولة علمانية؟
- الدين والأخلاق.
- مجال الشريعة الإسلامية.
- حاجتنا إلى البحث الحر.

■ الفصل الثاني: المصطلحات والسوابق التاريخية، وفيه المباحث الآتية:

- الخطأ في استعمال المصطلحات الغربية.
- النماذج السياسية في الإسلام.
- الاقتداء بالصحابة.

■ الفصل الثالث: حكومة انتخابية دستورية، وفيه المباحث الآتية:

- أهداف الدولة الإسلامية.
- مبادئ موجهة.
- مصادر السيادة في الدولة.
- رئيس الدولة.
- مبدأ الشورى.
- مجلس منتخب.
- اختلاف الآراء.

■ الفصل الرابع: العلاقة بين السلطتين التنفيذية والتشريعية، وفيه المباحث الآتية:

اعتماد السلطتين كل على الأخرى.

- تحليل تاريخي.
- السلطة التنفيذية.
- جهاز الدولة.
- السلطتان: كيف تكمل إحداهما الأخرى.
- التحكيم بين السلطتين التشريعية والتنفيذية.

■ الفصل الخامس: الشعب والحكومة، وفيه المباحث الآتية:

- حق الطاعة.
- مسألة الجهاد.
- حدود الطاعة.
- حرية الرأي.
- حماية المواطنين.

- التعليم إجباري وبالمجان.
- الضمان الاقتصادي.

■ الفصل السادس: الخاتمة، وفيها:

- عقبات في طريقنا.
- الحاجة إلى موسوعة تضم الأحكام الشرعية والاجتماعية.
- كيف نضع الموسوعة؟
- نحو آفاق جديدة.

مقتطفات من موضوعات الكتاب:

لماذا نريد الدولة الإسلامية؟

بعد أن عانت الأمة الإسلامية تحت نير الاستعمار أو الانتداب، وخضعت أكثرها خلال عقود لسياسة الاستعمار الغربي الذي نحى الشريعة الإسلامية عن حياة الناس في أكثر جوانب الحياة.

لكنها بفضل الله تعالى اجتازت هذه الخطة التاريخية وصارت تملك فيها الحرية، وذلك بعد جهاد وكفاح وتضحيات، فظفرت الشعوب الإسلامية باستقلالها.

ونتيجة لهذا الاستقلال تبرز مسألة المبادئ الإسلامية الأساسية التي يجب أن تحكم هذه الشعوب. وعلى المسلمين وحدهم يقرروا: هل يأخذون المفاهيم الغربية التي تنكر على الدين حقه في توجيه الحياة العملية أو أن تقيم في ربوعها النظام الاجتماعي الإسلامي؟

لا يمكن أن تكون دولة إسلامية إلا إذا كيفت حياتها على أساس مبادئ الإسلام السياسية والاجتماعية ودمجت هذه المبادئ في صلب دستورها السياسي؛ فإن تعاليم الإسلامي لا تقف عند حد تنظيم العلاقة بين الإنسان وخالقه، ولكنها تتعدى ذلك إلى وضع نظام محدد للسلوك الاجتماعي.

إذا كانت الغاية الأساسية للدين الإسلامي هي إصلاح الناحية الفردية، فإن جزءاً كبيراً من مبادئ الإسلام لا يمكن تطبيقه إلا عن طريق المجهود الجماعي، ولذا فإن الفرد لا يمكن أن يصوغ حياته بما يتفق مع تعاليم الإسلام دون أن يصوغ المجتمع الذي يعيش فيه صياغة في إطار الإسلام.

ففي القرآن الكريم يتضح أن غاية الخلق هي تجاوب المخلوقات مع الخالق، وعلى هذا فإنه إذا صح أن غاية الدين تكييف مطالب الإنسان ورغباته وفق إرادة الله تعالى؛ فلا بد للإنسان أن يتعلم بأساليب معصومة من الخطأ، كيف يميز بين الخير والشر وبين ما لا يجب فعله وما لا يجب.

فالمطلوب إذاً مجموعة من القوانين المحكمة المضبوطة التي تنسق مجال الحياة البشرية بأكملها، وتتعرض لكل مظاهرها الروحية والمادية والفردية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وإذا كانت الغاية الأساسية للدين الإسلامي هي إصلاح الناحية الفردية، فإن جزءاً كبيراً من مبادئ الإسلام لا يمكن تطبيقه إلا عن طريق المجهود الجماعي، ولذا فإن الفرد لا يمكن أن يصوغ حياته بما يتفق مع تعاليم الإسلام دون أن يصوغ المجتمع الذي يعيش فيه صياغة في إطار الإسلام، وينبثق عن التعاون بين الفرد والمجتمع حركة اجتماعية إيجابية هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لماذا لا نرضى بدولة علمانية؟

إن هنالك أسباباً خاصة بالغرب وحده جعلت أهله على غير وفاق مع الدين - دينهم هم - ومثل هذا الخلاف تنعكس آثاره على الاضطراب الأخلاقي والاجتماعي والسياسي الذي يسود أجزاء واسعة من العالم، لقد أصبحت (المصلحة) في اعتبار القوم هي القانون الوحيد المهيمن الذي تعالج على ضوئه كافة الشؤون العامة.

وبما أن المصلحة تختلف من جماعة إلى جماعة ومن أمة لأخرى، فإن النتيجة الطبيعية ما نراه اليوم من اصطدام مروع بين المصالح المختلفة في الحقل السياسي.

فالرأسمالي يختلف بفكره وعمله عن الاشتراكي، لقد سادت هذه النظم وأجندتها السياسية والاقتصادية على أهواء الناس ومطالبهم المادية وهذه في تغير دائم.

يستحيل على أي أمة أن تعرف السعادة ما لم تكن متحدة من الداخل، ولا يمكن أن تتحد ما لم تتفق على ما هو عدل أو ظلم في شؤون الناس والحياة.

والدين وحده هو القادر على أن يقدم لنا القانون المطلوب، وهو الذي يمكن أن يوجد أساس الاتفاق داخل الأمة.

الدين وحده القادر على أن يعطي الحياة البشرية معناها، ويرقي أسلوب تفكيرنا وسلوكنا مع القيم الخلقية المستقلة تماماً، والدين وحده يقدم لنا مجالاً واسعاً للاتفاق بين مجموعات كبيرة من البشر على ما هو خير مرغوب فيه، أو شر ينبغي اجتنابه.

مجال الشريعة الإسلامية:

الشريعة قانون لا يقصد لها الاعتماد على فقيه أو عالم، إنما يجب اعتبارها قائمة في جملتها على الأحكام المنصوص عليها في القرآن والسنة بعبارات جازمة (افعل هذا – لا تفعل هذا)، أن نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة هي وحدها تشكل مجموعة الشريعة الحقيقية الخالدة.

المصطلحات والسوابق التاريخية:

-الخطأ في استعمال المصطلحات الغربية:

إن من أهم الأسباب في اضطراب الصورة السائدة في الأذهان عن الشريعة الإسلامية أن المنادين بضرورة قيام الدولة وخصومها يخطئون على حد سواء في استعمال المصطلحات السياسية الغربية، بعض الكتاب يؤكدون أن الإسلام يدعو إلى الديمقراطية، وبعضهم يقول الإسلام يهدف إلى قيام مجتمع اشتراكي، وفريق آخر يعضد نظرية الحزب الواحد التي تؤدي إلى الديكتاتورية.

وهذه كلها مصطلحات متناقضة، تنطوي على خطر أكبر. فالأوروبي عندما يتحدث

عن الديموقراطية أو الاشتراكية أو التحرر أو الحكومة البرلمانية، فإنه يستخدمها وفي ذهنه أحداث تاريخ الغرب التي صنعها في ماضيه وحاضره، وتصبح عنده سهلة الفهم معروفة المقاصد.

إن قيام المجتمع الإسلامي ليس غاية في ذاته، ولكنه وسيلة إلى غاية وهي إيجاد أمة تقف نفسها على الخير وتحق الحق وتبطل الباطل، أمة تتيح لأفرادها أن يعيشوا في توافق مع القانون الفطري الذي جاء من الله وهو الإسلام..

وفي الفصل الثالث تحت مبحث أهداف الدولة الإسلامية:

الغاية الجوهرية من قيام الدولة الإسلامي هي إيجاد الجهاز السياسي الذي يحقق وحدة الأمة الإسلامية وتعاون أفرادها، ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾[1].

إن قيام المجتمع الإسلامي ليس غاية في ذاته، ولكنه وسيلة إلى غاية وهي إيجاد أمة تقف نفسها على الخير وتحق الحق وتبطل الباطل، أمة تتيح لأفرادها أن يعيشوا في توافق مع القانون الفطري الذي جاء من الله وهو الإسلام.

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

وتحت عنوان مبادئ موجهة قال المؤلف:

تكتسب الدولة الإسلامية صفتها القانونية بأن يكون لها حق الطاعة والولاء على أساس قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[2].

وفي هذا الأسلوب المختصر يضع القرآن الكريم عدة مبادئ تتصل بطبيعة الدولة الإسلامية:

أولاً: إن أهم الواجبات للدولة هو إنفاذ الأحكام الشرعية في المناطق الخاضعة لها.

ثانياً: على الرغم من أن الأحكام الشرعية تظل راسخة وصالحة في بنيان الدولة، لكنها لا تستطيع أن تمدنا بكل ما نحتاج إليه، فلا بد أن نضيف القوانين الملائمة لأنفسنا.

ثالثاً: لاحظنا أن الأمر القرآني ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ يتبعه في الحال ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ أي من جماعة المسلمين، هذا يعني أن فرض أي سلطة على المسلمين من غير جماعتهم لا يجعل لهم حق الطاعة، لكن طاعة الحكومة إذا جاءت بالطريق الشرعي يعتبر واجباً دينياً، ولكنها خلع طاعتها إذا أباحت ما حرمته الشريعة.

رابعاً: ضرورة الحصول على رضا الشعب تقتضي أن الحكومة تأتي على أساس الاختيار من قبله وتمثله تمثيلاً صحيحاً، وهذه دلالة تشير إليها العبارة القرآنية (منكم)، ينتج عن ذلك أن رئاسة الدولة لا تأتي إلا عن طريق الانتخاب.

(٢) سورة النساء: ٥٩.

الإعلام في زمن الحروب والفتن

عبـــد الله بن فيصـــل الأهدل

يعدُّ الإعلام - بأنواعه - والصحافة في زمن الحروب والفتن عملاً حربياً من الدرجة الأولى؛ لا تستغني عنه عامة الجيوش قديماً وحديثاً؛ فكان قديماً يستعمل الشعر كوسيلة إعلامية بالغة التأثير حتى أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال فيه: ((اهْجُوا قُرَيْشاً، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ))، فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ فَقَالَ: ((اهْجُهُمْ))... قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ لِحَسَّانَ: ((إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، مَا نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ))، وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى))[1].

وأما في العصر الحديث؛ فإنهم كما نراهم ينسجون القصص الخيالية المفتراة والأكاذيب الفجة على أعدائهم ليضلوا الناس عن الحقائق، وليكونوا زخماً شعبياً بكل سبيل ولو كان بالباطل..

ويغفل هذا الإعلامي أو الصحفي أو الكاتب أو المتكلم - والناقل أيضاً - عن أنه بكذبه قد يبطل حقاً أو يسفك دماً أو يشرد أسرةً أو طفلاً أو يروع مجتمعاً يسوده الأمن؛ تأمل قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات في الجنة، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً يهوي بها في نار جهنم))[2].

فلا ينبغي في خضم الأحداث أن ننسى الضوابط الشرعية، وأن نقتدي برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فنبحث عن هديه وأخلاقه وآدابه، كي تكون نوراً وهداية لنا عند اختلاط الحق بالباطل.

(١) رواه مسلم (٢٤٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٨).

ولنحذر أن نأتي يوم القيامة مفلسين من الحسنات، فقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أتدرون من المفلس؟)) قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. قال: ((المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا. فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار))[1].

لا ينبغي في خضم الأحداث أن ننسى الضوابط الشرعية، وأن نقتدي برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فنبحث عن هديه وأخلاقه وآدابه، كي تكون نوراً وهداية لنا عند اختلاط الحق بالباطل.

ولنا في سورة الحجرات آداب وتوجيهات من الله جل جلاله؛ منها:

(١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾، تقديم توجيهات الله ورسوله - لا الرؤساء والمولين - هي مقتضى التقوى.

(٢) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾، وجوب التثبت في الأخبار وتحري الناقلين الثقات الأثبات. ثم بعد التثبت من الخبر، ليس كل خبر يذاع - ولو كان صحيحاً في نفسه -، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾[2]، والمعنى: إذا علموا بأمرٍ يقتضي خوفاً أو يقتضي أمناً فلا ينبغي أن يذيعوه قبل أن يردُّوه إلى الشرع (الرسول) وأولي الأمر منهم (العلماء) فهم القادرون على تمييز هذا الأمر، هل هو مما ينبغي أن يذاع أو لا؟ روى ابن أبي حاتم بسندٍ حسن عن قتادة، في قوله: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ﴾، يقول: إلى علمائهم. وفي خبر ما أشيع من أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلَّق زوجاته[3]، قال عمر: "فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر".

(٣) ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾، قال البقاعي: "الرشد: الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه.. والذي انتج الرشد: متابعة الحق، فإن الله تكفل لمن تعمد الخير وجاهد نفسه على البِّر: بإصابة الصواب وإحكام المساعي المنافي للندم ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١).

(٢) سورة النساء: ٨٣.

(٣) كما في صحيح مسلم (١٤٧٩).

سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[1]".

(٤) ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾، الإصلاح بين المؤمنين هو أمر الله عَزَّوَجَلَّ، وكل كلمة في هذا السبيل - لا شك - تقربك إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾، قال القرطبي: "أي في الدين والحرمة، لا في النسب، ولهذا قيل: أخوة الدين أثبت من أخوة النسب؛ فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب". اهـ. ولذلك فإن الأواصر التي وضعتها الجاهلية - قديماً وحديثاً - مثل الأخوة في الإنسانية، أو في القومية، أو في الوطنية، أو في المناطقية، أو في القبلية، أو الطائفية، أو الجهوية، ونحو ذلك لاعتبار لها في الإسلام فـ﴿إِنَّمَا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ حصرية، بمعنى: تحصر حكم الأخوة في المؤمنين وتنفيه عما عداهم.

(٥) ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾﴾، والقسط: هو العدل؛ في القول وفي الفعل. وأي مكانة وأي رزق أعظم من محبه الله عَزَّوَجَلَّ للمقسطين. والعدل يكون حتى مع الأعداء، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ ﴿٨﴾﴾[2].

(٦) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾، والسخرية بالآخرين اليوم هي مادة الإعلام، وهي حديث الناس اليوم حتى الطيبين منهم - إلا من رحم ربك -. قال القرطبي: "ولقد بلغ بالسلف إفراط توقِّيهم وتصوُّنهم من ذلك أن قال عمرو بن شرحبيل: لو رأيت رجلاً يرضع عنزاً فضحكت منه لخشيت أن أصنع مثل الذي صنع". وعن عبد الله بن مسعود: "البلاء موكَّل بالقول؛ لو سخرتُ من كلبٍ لخشيت أن أحوَّل كلباً".

وقال الطبري في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾: "ولا يغتب بعضكم بعضاً أيها المؤمنون ولا يطعن بعضكم على بعض.. فجعل اللامز أخاه لامزاً نفسه؛ لأن المؤمنين كرجل واحد فيما يلمز بعضهم لبعض، من تحسين أمره، وطلب صلاحه، ومحبته الخير". ولذلك روي الخبر عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه قال: ((الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنِ اشْتَكَى رَأْسُهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ))[3].

(٧) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ

(١) سورة العنكبوت.
(٢) سورة المائدة: ٨.
(٣) رواه مسلم (٢٥٨٦).

(١١) قال القرطبي: "وذلك أنه قد يقع له خاطر التهمة ابتداء ويريد أن يتجسس خبر ذلك، ويبحث عنه ويتبصر ويستمع لتحقُّق ما وقع له من تلك التهمة؛ فنهى النبي عن ذلك. وإن شئت قلت: والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عمَّا سواها أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراماً واجب الاجتناب".

والسخرية بالآخرين اليوم هي مادة الإعلام، وهي حديث الناس اليوم حتى الطيبين منهم - إلا من رحم ربك -.

وقال أبو قلابة الرقاشي: "سمعت أبا عاصم يقول: ما اغتبت أحداً مذ عرفت ما في الغيبة.. وكان ميمون لا يغتاب أحداً، ولا يدع أحداً يغتاب أحداً عنده؛ ينهاه، فإن انتهى وإلا قام". وقال القرطبي: "مثَّل الله الغيبة بأكل الميتة؛ لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه كما أن الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه". وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "إنما ضرب الله هذا المثل للغيبة لأن أكل لحم الميت حرام مستقذر، وكذا الغيبة حرام في الدين وقبيح في النفوس". وقال قتادة: "كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً كذلك يجب أن يمتنع من غيبته حياً". قال ابن تيمية: "فجعل جهة التحريم كونه أخاً أخوة الإيمان، ولذلك تغلَّظت الغيبة بحسب حال المؤمن؛ فكلما كان أعظم إيماناً كان اغتيابه أشد"[1].

والغيبة ذكرك أخاك المسلم بما يكره في غيبته - حتى لو كان فيه تلك العيوب التي تقول - ..

وتجوز الغيبة في الحالات التالية:

أ - المظلوم يتكلم عن ظالمه: قال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾[2]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مطل الغني ظلم؛ يحل عرضه وعقوبته)) المعنى: من له دين عند غني مماطل، له أن يتكلم عليه.

ب - المجاهر بالفسق أو البدعة: يجوز غيبته بما جاهر به كي يحذره الناس.

ج - من استُنصِح في أمر فاحتاج لذلك: كما في الصحيحين أن فاطمة بنت قيس قالت: "فَآذَنْتُهُ، فَخَطَبَهَا مُعَاوِيَةُ، وَأَبُو جَهْمٍ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَرَجُلٌ تَرِبٌ، لَا مَالَ لَهُ، وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَرَجُلٌ ضَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ، وَلَكِنْ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ))، فَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا: أُسَامَةُ، أُسَامَةُ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((طَاعَةُ اللهِ، وَطَاعَةُ رَسُولِهِ خَيْرٌ لَكِ))، قَالَتْ: فَتَزَوَّجْتُهُ، فَاغْتَبَطْتُ".

ومن هذا القبيل الكلام في المجروحين من رجال الحديث.

د - التعريف: فإذا كان معروفاً بلقب: كالأعشى أو الأعمى أو الأعور أو الأعرج

(١) الجامع (٦/٦٢).
(٢) سورة النساء: ١٤٨.

جاز تعريفه به، ويحرم ذكره به على سبيل التنقيص، ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى.

هـ - الاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصي إلى الصواب: فيقول لمن يرجو قدرته، فلان يعمل كذا فازجره عنه.

(٨) ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾، قال الشنقيطي: "بيَّن تعالى أنه جعلهم شعوباً وقبائل لأجل أن يتعارفوا؛ أي: يعرف بعضهم بعضاً ويتميز بعضهم عن بعض، لا لأجل أن يفتخر بعضهم على بعض ويتطاول عليه، وذلك يدل على أن كون بعضهم أفضل من بعض وأكرم منهم إنما يكون بسبب آخر غير الأنساب، وقد بيَّن الله ذلك هنا بقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، فاتضح من هذا أن الفضل والكرم إنما هو بتقوى الله لا بغيره من الانتساب إلى القبائل".

(٩) ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾، قال السعدي: "﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ على الحقيقة: الذين جمعوا بين الإيمان والجهاد في سبيله؛ فإن من جاهد الكفار دل ذلك على الإيمان التام في القلب؛ لأن من جاهد غيره على الإسلام والقيام بشرائعه فجهاده لنفسه على ذلك من باب أولى وأحرى".

(١٠) ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ولو أخلص العبد نيته، وتتبع أوامر الشرع لأجر أجراً لا يوصف؛ لا سيما الإعلامي والصحفي والخطيب والكاتب الذي ينتشر ما خطَّ بنانه في الآفاق ويتخطى كل الحدود، فينتفع به كل من يطلع عليه..

التوجيهات النورانية النبوية في هذا الشأن:

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ))[١].

((سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر))[٢].

((كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه))[٣].

((ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء))[٤].

((شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم، الذين يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام))[٥].

(١) متفق عليه.
(٢) متفق عليه.
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).
(٤) صحيح الجامع (٩٥١٢).
(٥) صحيح الجامع (٣٧٠٥).

((أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه))[١].

((إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب))[٢].

((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً))[٣].

ولو أخلص العبد نيته، وتتبع أوامر الشرع لأجر أجراً لا يوصف؛ لا سيما الإعلامي والصحفي والخطيب والكاتب الذي ينتشر ما خطَّ بنانه في الآفاق ويتخطى كل الحدود، فينتفع به كل من يطلع عليه.. ثم ينفع به غيره، وهكذا يصل خيره إلى ما لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ؛ قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم))[٤].

والعكس صحيح أيضاً.

فينبغي علينا أن نحتسب أنفسنا لنشر الخير والفضيلة بين الناس، والوقوف مع أهل العلم والفضل المخلصين لاستنقاذ مجتمعاتنا من أيدي دعاة الحروب والشر والفتن..

(١) صحيح الجامع (١٤٦٤).
(٢) متفق عليه.
(٣) صحيح مسلم (٢٦٧٤).
(٤) متفق عليه.

وما من كاتــب إلا سيبـــلى
ويبقى الدهرَ ما كتبت يداهُ
فلا تكتــب بكفــك غير شيء
يسرك في القيـــامة أن تراهُ

اجتهد ألا تندم على ما سطرت يداك، ومن كلام الحكماء: "ما لم أتكلم بكلمة مَلَكْتُها، فإذا تكلمتُ بها مَلَكَتْني".

وقيل: "ما ندمت على ما لم أقل مرة، وندمت على ما قلت مراراً ".

أخي.. تدارك قبل أن تفجع يوم القيامة بذنوب كالجبال، يتعلق بك من سُفك دمه بسبب كلمة تشجيع ومدح أثنيت بها على قتلته، ويمسك بك أقوام أهنتهم أو استهزأت بهم..

حديثك تنساه بمجرد إطلاق الكلمة.. لكنه يحصى عليك: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ﴾[٥].

من الذي يحصيه؟! إنه الله عَزَّوَجَلَّ الذي لا تخفى عليه خافية.

أيها الإعلامي والصحفي والخطيب والمعلِّم وكل مسلم، يجب علينا الدفاع عن دِينِنا وحَمَلَتِهِ بثقة وفخر، ذلك أن الهجمة الشرسة التي يتعرض لها هذا الدين لها خلفيات لا تخفى؛ فيتهم الدين بتهم باطلة وتشويهية من مثل الإرهاب والرجعية والداعشية.. والقائمة طويلة، وأنت تعلم جيداً أن الإسلام أعظم وأجل من ذلك، ومن نذر نفسه للذب عنه فإنه ينفع نفسه أول ما ينفع؛ فهو الدين الخاتم وهو محفوظ بحفظ الله تعالى له - وإن تخلى عنه من تخلى -.

(٥) سورة المجادلة: ٦.

يجب على الإعلامي الذي يعرف حدود ربه أن يرتفع عن مقام السوء والمبادلة بالمثل - خاصة في زمن الفتن المتأججة -، وألا يجعل صحيفته أو منبره.. ساحة للمهاترة والأكاذيب المتبادلة.

كما يجب على الإعلامي الذي يعرف حدود ربه أن يرتفع عن مقام السوء والمبادلة بالمثل - خاصة في زمن الفتن المتأججة -، وألا يجعل صحيفته أو منبره.. ساحة للمهاترة والأكاذيب المتبادلة؛ قال تعالى: ﴿إِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾[1]. أي ردُّوا رداً سالماً من الإثم أو الشتم ولم ينحدروا إلى مقام المسيئين والانتقام للنفس، وهذا مقام لا يناله إلاّ من أخلص لله ونذر نفسه لإحقاق الحق ونشر الفضائل، ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[2].

وقال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[3]. وهو القول المتأدب الجميل الخالي من الخشونة والشتم والاستهزاء، والكلام بهذه الصفة يقع في قلوب الآخرين فيترك آثاراً حسنة تعود بالخير على كِلاَ الطرفين، وقد أوصى الله تعالى موسى وهارون أن يأتيا جباراً - فرعون - وأمرهما: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[4].

وكل ما تقدم - من لزوم محاسبة النفس، والتوقف عن اتهام الناس بلا بينة - لا يعني كتمان الحق إذا تيقنتَه، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((ألا لا يمنعن رجلاً هيبةُ الناس أن يقول بحق إذا علمه - أو شهده أو سمعه -))[5].

وأخيراً لنتذكر دائماً دعاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قام من الليل افتتح صلاته به: ((اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلِف فيه من الحق بإذنك؛ إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم))[6].

ونحن دائماً بحاجة للهداية للحق فلا ننخدع بأنفسنا، ولا بما حصلنا عليه من شعبية وجماهيرية زائفة.

وفقنا الله وإياكم إلى ما يحب ويرضى في كل أحوالنا...

(١) سورة الفرقان.
(٢) سورة فصلت.
(٣) سورة الإسراء: ٥٣.
(٤) سورة طه.
(٥) السلسلة الصحيحة (١٦٨).
(٦) أخرجه مسلم (٧٧٠).

بهذا نعلو

الشيخ صفاء الضوي

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كانت ناقة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسمى العضباء، وكانت لا تُسبق، فجاء أَعرابي على قَعود له، فسبقها؛ فاشتد ذلك على المسلمين، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إن حقاً على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه))[1].

تسمى العَضْباء: أي المقطوعة الأذن، أو المشقوقة.

فجاء أعرابي على قَعُود له: جمل صغير السن فسبقها فاشتد ذلك: أي: صعُب سبقُه إياها على المسلمين.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إن حقاً على الله)): أي: أمراً ثابتاً. ((أن لا يرتفع شيء من الدنيا)): أي: من أمر الدنيا ((إلا وضعه)): أي: حقاً ثابتاً واجباً على الله. وفيه جواز المسابقة بالخيل والإبل[2].

فناقة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تُسبَق، وينظر إليها على أن لها انتساباً، فهي ملكٌ لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكيف تُسبَق وكيف تُغلَب؟!

ويجيء أعرابي مجهول بناقته فيسابق ناقة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيسبقها، فشق الأمر على الصحابة، أيُهزم من ينتسب؟، أيُغلب لنا فريقٌ؟

إنه لا يرتفع أمرُ الدين بجولات في أمر الدنيا سواء في الجد واللعب، وإنما يعلو الدين وأهله بالتمسك به إيماناً وعملاً، وأن كل رفعة في الدنيا وسياقاتها وزخرفها إذا انبتّت عن نصرة الدين وإعزازه فهي موضوعة ولا ريب فاشلة لا تغني شيئاً.

وحين يُفلِس المسلمون من العمل الصحيح للإسلام يفتشون عن أي شيء من بريق الدنيا ينتسب إلى أفراد منهم فتعلوا أصواتُهم صياحاً وهتافاً.. لقد انتصرنا!

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البخاري، وأحمد، وأبو داود، والنسائي.

وينبري التافهون والفارغون ليصنعوا للناس آلهة وملهيات، ويسوقون الجماهير للهتاف لها؛ فيدور حول نتائج هذه الملهيات فرحهم وحزنهم، وفي محرابها تذرف الدموع وتنشق الحناجر بالهتاف والصراخ.

.... ((إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَه)).

فأمر الدنيا إلى سِفال وفَناء.. أما أمر الآخرة من إيمان وعمل صالح فإنه إلى علو وارتفاع وبركة. قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾(١)، هؤلاء لا يضعهم الله عَزَّوَجَلَّ ما داموا موصوفين بالعلم والإيمان، بل يُعلي ذكرَهم، ويرفع درجاتِهم في الآخرة.

قال تعالى لنبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾(٢)، وقد ظل ذكر المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مرفوعاً عالياً، وهديُه نوراً مبيناً لم تنطفئ حُجَجُه، ولم يُنَكّس لواؤه.. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾(٣)، أي شرفكم ورفعتكم.. وهذا كله شأن الإيمان والعمل الصالح.. هذا شأن النبوة.

إن ميدان المنافسة والمغالبة بين أهل الحق وأهل الباطل هو الدفاع عن دين الحق ونصرته ونشره في العالمين، هنا فقط تكون الغلبة، وهنا يكون الفرح، وهنا يحتشد أهل الحق يبذلون الغالي والنفيس لتعلو راية الإسلام ويُعَبَّد الناس لله خالقهم سبحانه.

وينبري التافهون والفارغون ليصنعوا للناس آلهة وملهيات، ويسوقون الجماهير للهتاف لها؛ فيدور حول نتائج هذه الملهيات فرحهم وحزنهم، وفي محرابها تذرف الدموع وتنشق الحناجر بالهتاف والصراخ.

وعند هذه الآلهة المدعاة يضيع كل شيء؛ الدين والكرامة والأخلاق.. فالمهم أن نرجع بالفوز وندحر كل الفِرَق ونُهدي للأوطان كأسَ التيه والضياع..

(١) سورة المجادلة: ١١.
(٢) سورة الشرح.
(٣) سورة الأنبياء: ١٠.

نظام الأسباب في القرآن الكريم

أ.د. محمد أمحزون

معنى السبب في اللغة:

السبب: الحبل. والسبب: كل شيء يتوصل به إلى غيره. والسبب: القرابة والمودة. والسبب: الطريق، يقال: مالي إليكم سبب: أي طريق. والسبب في الشرع: ما يوصّل إلى شيء ولا يؤثر فيه، كالوقت للصلاة. وأسباب السماء: مراقيها أو نواحيها. ويقال: تقطعت بهم الأسباب: أعيتهم الحيل. وأسباب الحكم في القضاء: ما تسوقه المحكمة من أدلة واقعية وحجج قانونية لحكمها[1].

معاني السبب ومشتقاته في القرآن الكريم:

المعنى الأول: العلم:

في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾[2]، أي: علماً[3].

المعنى الثاني: الطريق:

في قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾[4]، أي: طريقاً ما بين المشرق والمغرب[5].

المعنى الثالث: الحبل:

في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾[6]، أي: من يظن أن لن ينصر الله نبيّه ولا دينه ولا كتابه، فليمدد بحبل إلى سماء البيت وهو سقفه، فليختنق به، ثم لينظر هل يذهبن ذلك ما يجد في صدره من الغيظ على دين الله تعالى ونبيه ﷺ وكتابه العزيز[7].

المعنى الرابع: أبواب السماء وطرقها:

في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) الرازي، مختار الصحاح، ص٢٤٧. والزاوي، مختار القاموس، ص٢٨٦. وإبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٤١١-٤١٢.
(٢) سورة الكهف.
(٣) الطبري، جامع البيان، ٧/٥٤٠٨.
(٤) سورة الكهف.
(٥) المصدر السابق، ٧/٥٤١٠.
(٦) سورة الحج.
(٧) المصدر السابق، ٧/٥٨٠٥.

وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ﴿١٠﴾[1]، أي: فليصعدوا في أبواب السماء وطرقها[2].

المعنى الخامس: انقطاع حبال المودة بين الكافرين يوم القيامة:

في قوله تعالى: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾[3]، أي: لم يعد بينهم مودة يوم القيامة، وتقطعت حبالها بينهم، وكانوا يتواصلون بها في الدنيا[4].

> **قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فليس في الدنيا والآخرة شيء بلا سبب. والله تعالى خالق الأسباب والمسببات".**

(١) سورة ص.
(٢) المصدر السابق، ٨/ ٦٩٧٠.
(٣) سورة البقرة.
(٤) المصدر السابق، ١/ ٨٢٠ (بتصرف).

السنن الربانية قائمة على نظام الأسباب:

السبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة[5]. وكون الشيء سبباً هو كونه موصلاً إلى غيره، سواء كان هذا الشيء مادياً كالآلة، أو كان معنوياً كالعلم والقدرة.

وقد دل القرآن الكريم على أن كل شيء يحدث بسبب، سواء كان هذا الحدث يتعلق بالجماد أو بالنبات أو بالحيوان أو بالإنسان أو بالأجرام السماوية أو بالظواهر الكونية المختلفة. فقانون السببية، أي ربط المسببات بأسبابها والنتائج بمقدماتها قانون عام شامل لكل ما يحدث في الكون[6].

وفي هذا السياق قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فليس في الدنيا والآخرة شيء بلا سبب. والله تعالى خالق الأسباب والمسببات"[7].

(٥) انظر: تفسير الزمخشري، ٢/ ٤٩٧.
(٦) عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية، ص٢٢-٢٣.
(٧) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٨/ ٧٠.

ومثال الأسباب المادية قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ﴾[1]، فالفاء هاهنا سببية.

ومثال الأسباب المعنوية قوله عز من قائل: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾[2].

والقرآن الكريم - كما يقول ابن قيم الجوزية - مملوء بترتيب الأحكام الكونية والشرعية على الأسباب بطرق متنوعة؛ فيأتي بباء السببية تارة، كقوله تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤﴾[3]، فالأعمال الصالحة هي سبب دخول الجنة، ويأتي بذكر الوصف المقتضي للحكم، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢﴾[4]، فالله تعالى اقتضت حكمته ربط الأسباب بالمسببات[5].

وفي قصة ذي القرنين يبرز السياق القرآني قيمة توظيف الأسباب للتمكين في الأرض، وقيمة استخدام العلم الصناعي في مصلحة البشرية على يد الخبير المسلم.

وقد اتصف ذو القرنين ببعض الصفات هيأته للنجاح والتفوق في عالم الأسباب، منها: الصبر، حيث أمضى ردحاً من الزمن متنقلاً بين مشرق الأرض ومغربها وشمالها لنشر التوحيد وإخضاع المشركين. والعدل: حيث بذل المعروف للمظلومين، مستخدماً علمه الذي علمه الله إياه وتمكينه في الأرض لمساعدة الناس ومواساتهم ومنع العدوان عنهم، بالضرب على أيدي المفسدين يأجوج ومأجوج، ومن على شاكلتهم من أمم الكفر. كما استخدم العلم والحكمة، فكان من المصلحين المؤهلين لإعمار الأرض وتنمية مواردها واستغلال طاقاتها المخبوءة كالحديد والنحاس والرصاص لمصلحة البشرية.

وهكذا مكّن الله لذي القرنين بصفات وأخلاق تميّز بها، فهيأ له سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أسباب النصر والنجاح. واعترف هو بأن ما يملكه من أسباب القوة والنصر والتأييد إنما هو بفضل الله تعالى، فقال للقوم الذين وجدهم في رحلته إلى الشمال بين السدين: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ﴾[6].

على أن الله جل ذكره لم يستثنِ المؤمنين من الأخذ بالأسباب، إذ شاء وفق حكمته العليا أن يكون التمكين وفق نظام سنني قائم على الأسباب. فقد أشار القرآن الكريم إلى تمكين الله تعالى لذي القرنين، وعرض مصدر هذا التمكين بعبارة موجزة جامعة فقال: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ٨٤﴾[7].

والسبب هو الوسيلة التي يتحقق بها التمكين، والطريق الذي يوصل إليه هو الوسائل المادية سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو صناعية أو حربية أو حضارية عموماً[8].

(١) سورة البقرة: ٢٢.
(٢) سورة الأنفال: ٢٩.
(٣) سورة الحاقة.
(٤) سورة الطلاق.
(٥) ابن القيم، مدارج السالكين، ٣/٤٧٧، ٤٩٦، ٥٠١.
(٦) سورة الكهف: ٥٩.
(٧) سورة الكهف.
(٨) صلاح الخالدي، مع قصص السابقين، ٢/٣٢٣.

وقد أعطى الله جل ثناؤه ذا القرنين أسباب الحكم والفتح، وأسباب البناء والعمران، وأسباب السلطان والمتاع... إلخ. وفسر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هذا السبب بأنه العلم[1].

اتصف ذو القرنين بصفات هيأته للنجاح والتفوق في عالم الأسباب، كالصبر، حيث أمضى ردحاً من الزمن متنقلاً لنشر التوحيد وإخضاع المشركين. وكالعدل: حيث بذل المعروف للمظلومين، مستخدماً علمه الذي علمه الله إياه وتمكينه في الأرض لمساعدة الناس ومواساتهم ومنع العدوان عنهم، بالضرب على أيدي المفسدين يأجوج ومأجوج، ومن على شاكلتهم من أمم الكفر.

ومن التنبيه بمكان أن القرآن الكريم أخبر بأن ذا القرنين استفاد مما منحه الله من وسائل وطرق وأسباب، وأنه أحسن استغلالها وإدارتها وتوظيفها والتعامل معها في قوله تعالى: ﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ٨٥﴾[2]،

أي: أخذ بالأسباب والوسائل لبلوغ غايته، مما دلّ على فطنته وذكائه، وأنه تعامل مع نظام الأسباب بنجاح.

وفي هذا دعوة صريحة للمسلمين كي يتأسوا بذي القرنين، ويكتشفوا نظام الأسباب وسنن الله تعالى في الحياة، ويحسنوا التعامل معها بإدراك آليات عملها والتعرف على مفاتيح أسرارها، ويوظفوها من ثم في بناء المعرفة والقوة، لجعل صرح الإسلام شامخاً، ونشر دعوته في الآفاق، بدل أن يتكلوا ويتركوا الأخذ بالأسباب، ويخالفوا السنن، ويهدروا جهدهم وطاقتهم ووقتهم، فأنّى يُمَكَّنُ لهم! كما قال الشاعر العربي:

كناطح صخرة يوماً ليفلقها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعلُ[3].

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥/ ١٩٠.
(٢) سورة الكهف.
(٣) ديوان الأعشى، ص١٥٢.

ورود كلمة بيِّنات (٢) في آيات القرآن البيِّنات

د. كامـل صبحي صلاح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

فقد قمت بعون الله تعالى باستقراء الآيات التي نصت على كلمة (بينات) في القرآن الكريم؛ فوجدت أنها وردت في أربعة وخمسين موضعاً في عدة صيغ، هي (بيِّنَة، بِبَيِّنَة، البَيِّنَة، مُبَيِّنَة، لنُبَيِّنَه، بَيِّنَات، البَيِّنَات).

وقد نشر الجزء الأول من المقال في العدد السابق، وهذا بقية المقال:

■ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [سورة البقرة]

إن الذين يُخْفون ما أنزلنا من الآيات الواضحات الدالة على نبوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما جاء به، وهم أحبار اليهود وعلماء النصارى وغيرهم ممن يكتم ما أنزل الله من بعد ما أظهرناه للناس في التوراة والإنجيل، أولئك يطردهم الله من رحمته، ويدعو عليهم باللعنة جميع الخليقة.

■ ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾ [البقرة]

شهر رمضان الذي ابتدأ الله فيه إنزال القرآن في ليلة القدر هداية للناس إلى الحق، فيه أوضح الدلائل على هدى الله، وعلى الفارق بين الحق والباطل. فمن حضر منكم الشهر وكان صحيحاً مقيماً فليصم نهاره. ويُرخَّص للمريض والمسافر في الفطر، ثم يقضيان عدد تلك الأيام. يريد

الله تعالى بكم اليسر والسهولة في شرائعه، ولا يريد بكم العسر والمشقة، ولتكملوا عدة الصيام شهراً، ولتختموا الصيام بتكبير الله في عيد الفطر، ولتعظموه على هدايته لكم، ولكي تشكروا له على ما أنعم به عليكم من الهداية والتوفيق والتيسير.

■ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة]

ولقد أعطينا موسى التوراة، وأتبعناه برسل من بني إسرائيل، وأعطينا عيسى ابن مريم المعجزات الواضحات، وقوَّيناه بجبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. أفكلما جاءكم رسول بوحي من عند الله لا يوافق أهواءكم، استعليتم عليه، فكذَّبتم.

■ ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [البقرة]

ولقد جاءكم نبي الله موسى بالمعجزات الواضحات الدالة على صدقه، كالطوفان والجراد والقُمَّل والضفادع، وغير ذلك مما ذكره الله في القرآن العظيم، ومع ذلك اتخذتم العجل معبوداً، بعد ذهاب موسى إلى ميقات ربه، وأنتم متجاوزون حدود الله تعالى.

■ ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [البقرة]

ولقد أنزلنا إليك - أيها الرسول - آيات بينات واضحات تدل على أنّك رسول من الله صدقاً وحقّاً، وما ينكر تلك الآيات إلا الخارجون عن دين الله.

■ ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ [البقرة]

فإن انحرفتم عن طريق الحق، من بعد ما جاءتكم الحجج الواضحة من القرآن والسنة، فاعلموا أنَّ الله عزيز في ملكه لا يفوته شيء، حكيم في أمره ونهيه، يضع كل شيء في موضعه المناسب له.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة]

كان الناس جماعة واحدة، متفقين على الإيمان بالله ثم اختلفوا في دينهم، فبعث الله النبيين دعاة لدين الله، مبشرين مَن أطاع الله بالجنة، ومحذرين من كفر به وعصاه النار، وأنزل معهم الكتب السماوية بالحق الذي اشتملت عليه ليحكموا بما فيها بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اخْتَلَف في أمر محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكتابه ظلماً وحسداً إلا الذين أعطاهم الله التوراة، وعرفوا ما فيها من الحجج والأحكام، فوفَّق الله المؤمنين بفضله إلى تمييز الحق من الباطل، ومعرفة ما اختلفوا فيه. والله يوفِّق من يشاء من عباده إلى طريق مستقيم.

■ ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة]

هؤلاء الرسل الكرام فضَّل الله بعضهم على بعض، بحسب ما منَّ الله به عليهم: فمنهم مَن كلَّمه الله كموسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وفي هذا إثبات صفة الكلام لله عَزَّوَجَلَّ على الوجه اللائق بجلاله، ومنهم مَن رفعه الله درجاتٍ عاليةً كمحمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، بعموم رسالته، وختم النبوة به، وتفضيل أمته على جميع الأمم، وغير ذلك. وآتى الله تعالى عيسى ابن مريم عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ البينات المعجزات الباهرات، كإبراء مَن وُلِد أعمى بإذن الله تعالى، ومَن به برص بإذن الله، وكإحيائه الموتى بإذن الله، وأيده بجبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ. ولو شاء الله ألا يقتتل الذين جاؤوا مِن بعد هؤلاء الرسل مِن بعد ما جاءتهم البينات ما اقتتلوا، ولكن وقع الاختلاف بينهم: فمنهم مَن ثبت على إيمانه، ومنهم مَن أصر على كفره. ولو شاء الله بعد ما وقع الاختلاف بينهم، الموجب للاقتتال، ما اقتتلوا، ولكن الله يوفق مَن يشاء لطاعته والإيمان به، ويخذل مَن يشاء، فيعصيه ويكفر به، فهو يفعل ما يشاء ويختار.

■ ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [آل عمران]

كيف يوفق الله للإيمان به وبرسوله قوماً جحدوا نبوة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بعد إيمانهم به، وشهدوا أن محمداً صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حق وما جاء به هو الحق، وجاءهم الحجج من عند الله والدلائل بصحة ذلك؟ والله لا يوفق للحق والصواب الجماعة الظلمة، وهم الذين عدلوا عن الحق إلى الباطل، فاختاروا الكفر على الإيمان.

■ ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران]

في هذا البيت دلالات ظاهرات أنه من بناء إبراهيم، وأن الله عظَّمه وشرَّفه، منها: مقام إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، وهو الحَجَر الذي كان يقف عليه حين كان يرفع القواعد من البيت هو وابنه إسماعيل، ومن دخل هذا البيت أَمِنَ على نفسه فلا يناله أحد بسوء. وقد أوجب الله على المستطيع من الناس في أي مكان قَصْدَ هذا البيت لأداء مناسك الحج. ومن جحد فريضة الحج فقد كفر، والله غني عنه وعن حجِّه وعمله، وعن سائر خَلْقه.

■ ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران]

ولا تكونوا - أيها المؤمنون - كأهل الكتاب الذين وقعت بينهم العداوة والبغضاء فتفرَّقوا شيعاً وأحزاباً، واختلفوا في أصول دينهم من بعد أن اتضح لهم الحق، وأولئك مستحقون لعذابٍ عظيم موجع.

■ ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣﴾ [آل عمران]

هؤلاء اليهود حين دُعُوا إلى الإسلام قالوا: إن الله أوصانا في التوراة ألا نصدِّق مَن جاءنا يقول: إنه رسول من الله، حتى يأتينا بصدقة يتقرب بها إلى الله، فتنزل نار من السماء فتحرقها. قل لهم - أيها الرسول -: أنتم كاذبون في قولكم لأنه قد جاء آباءكم رسلٌ من قِبلي بالمعجزات والدلائل على صدقهم، وبالذي قلتم من الإتيان بالقربان الذي تأكله النار، فَلِمَ قَتَل آباؤكم هؤلاء الأنبياء إن كنتم صادقين في دعواكم؟

■ ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ١٨٤﴾ [آل عمران]

فإن كذَّبك - أيها الرسول - هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكفر، فقد كذَّب المبطلون كثيراً من المرسلين مِن قبلك، جاءوا أقوامهم بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات، والكتب السماوية التي هي نور يكشف الظلمات، والكتابِ البيِّن الواضح.

■ ﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ١٥٣﴾ [النساء]

يسألك اليهود - أيها الرسول - معجزة مثل معجزة موسى تشهد لك بالصدق: بأن تنزل عليهم صُحُفاً من الله مكتوبةً، مثل مجيء موسى بالألواح من عند الله، فلا تعجب - أيها الرسول - فقد سأل

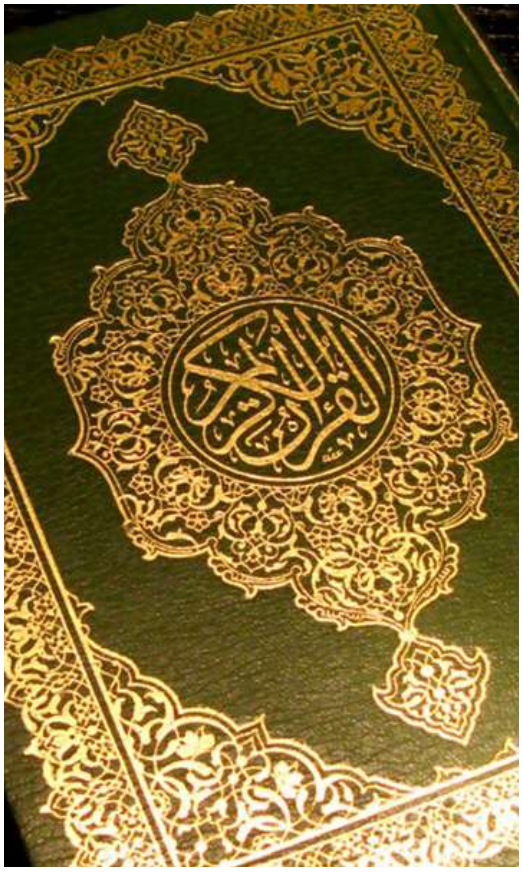

أسلافهم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ما هو أعظم: سألوه أن يريهم الله علانيةً، فَصُعِقوا بسبب ظلمهم أنفسهم حين سألوا أمراً ليس من حقِّهم. وبعد أن أحياهم الله بعد الصعق، وشاهدوا الآيات البينات على يد موسى القاطعة بنفي الشرك، عبدوا العجل من دون الله، فعَفونا عن عبادتهم العجل بسبب توبتهم، وآتينا موسى حجة عظيمة تؤيِّد صدق نُبُوَّته.

■ ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة]

بسبب جناية القتل هذه شَرَعْنا لبني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير سبب من قصاص، أو فساد في الأرض بأي نوع من أنواع الفساد، الموجب للقتل كالشرك والمحاربة فكأنما قتل الناس جميعاً فيما استوجب من عظيم العقوبة من الله، وأنه من امتنع عن قَتْل نفس حرَّمها الله فكأنما أحيا الناس جميعاً فالحفاظ على حرمة إنسان واحد حفاظ على حرمات الناس كلهم. ولقد أتت بني إسرائيل رسلُنا بالحجج والدلائل على صحة ما دعَوهم إليه من الإيمان بربهم، وأداء ما فُرِضَ عليهم، ثم إن كثيراً منهم بعد مجيء الرسل إليهم لمتجاوزون حدود الله بارتكاب محارم الله وترك أوامره.

■ ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة]

إذ قال الله يوم القيامة: يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك إذ خلقتك من غير أب، وعلى والدتك حيث اصطفيتها على نساء العالمين، وبرأتها مما نُسِب إليها، ومن هذه النعم على عيسى أنه قوَّاه

وأعانه بجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، يكلم الناس وهو رضيع، ويدعوهم إلى الله وهو كبير بما أوحاه الله إليه من التوحيد، ومنها أن الله تعالى علَّمه الكتابة والخط بدون معلم، ووهبه قوة الفهم والإدراك، وعَلَّمه التوراة التي أنزلها على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والإنجيل الذي أنزل عليه هداية للناس، ومن هذه النعم أنه يصوِّر من الطين كهيئة الطير فينفخ في تلك الهيئة، فتكون طيراً بإذن الله، ومنها أنه يشفي الذي وُلِد أعمى فيبصر، ويشفي الأبرص، فيعود جلده سليماً بإذن الله، ومنها أنه يدعو الله أن يحييَ الموتى فيقومون من قبورهم أحياء، وذلك كله بإرادة الله تعالى وإذنه، وهي معجزات باهرة تؤيد نبوة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم يذكِّره الله جَلَّ وَعَلَا نعمته عليه إذ منع بني إسرائيل حين همُّوا بقتله، وقد جاءهم بالمعجزات الواضحة الدالة على نبوته، فقال الذين كفروا منهم: إنَّ ما جاء به عيسى من البينات سحر ظاهر.

■ ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ [هود]

قال شعيب: يا قوم أرأيتم إن كنت على طريق واضح من ربي فيما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة له، وفيما أنهاكم عنه من إفساد المال، ورزقني منه رزقاً واسعاً حلالا طيباً؟ وما أريد أن أخالفكم فأرتكب أمراً نهيتكم عنه، وما أريد فيما آمركم به وأنهاكم عنه إلا إصلاحكم قَدْر طاقتي واستطاعتي، وما توفيقي - في إصابة الحق ومحاولة إصلاحكم - إلا بالله، على الله وحده توكلت وإليه أرجع بالتوبة والإنابة.

■ ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَ لَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٣٣﴾ [طه]

وقال مكذبوك - أيها الرسول -: هلا تأتينا بعلامة من ربك تدلُّ على صدقك، أولم يأتهم هذا القرآن المصدق لما في الكتب السابقة من الحق؟

■ ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ١﴾ [البينة]

لم يكن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين تاركين كفرهم حتى تأتيهم العلامة التي وُعِدوا بها في الكتب السابقة.

■ ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ٤﴾ [البينة]

وما اختلف الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى في كون محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولا حقاً لما يجدونه من نعته في كتابهم، إلا من بعد ما تبينوا أنه النبي الذي وُعِدوا به في التوراة والإنجيل، فكانوا مجتمعين على صحة نبوته، فلما بُعِث جحدوها وتفرقوا.

والحمد لله رب العالمين.

بيّنات

سياسات النشر في المجلة:

تُقبل المقالات في المجلة بعد العرض على هيئة التحرير إذا استوفت الشروط التالية:

(١) ألا يكون البحث أو المقال قد سبق نشره، أو قُدّم لأية جهة أخرى من أجل النشر.

(٢) أن تكون البحوث والمقالات متسمة بالعمق والأصالة وحسن الأسلوب ووضوحه، والسلامة من الأخطاء اللغوية والنحوية، وأن يضيف نشرها جديداً إلى المعرفة.

(٣) أن تكون البحوث والمقالات موثقة من الناحية العلمية بالمراجع والمصادر والوثائق، وتوضع الهوامش في أسفل كل صفحة.

(٤) لا تدفع المجلة مكافآت ولا تتقاضى أية مبالغ مقابل البحوث أو المقالات المنشورة أو أي أعمال فكرية ما لم تكن بتكليف.

(٥) أن لا يتجاوز البحث أو المقال سبع صفحات (١٠٠٠) كلمة، ولا يقل عن ثلاث صفحات (٤٥٠) كلمة (بمقاس ورقة A4).

bayyinatre@gmail.com